١٧٣٦٩

٨٨٤٥

أ.د. نصار أسعد نصار

رئيس قسم علوم القرآن والحديث بكلية الشريعة – جامعة دمشق

أسس التعايش في الإسلام

مقدمة:

إن السؤال الذي يطرح نفسه في هذه المسألة، ما دواعي قبول الآخر والرضا به؟ وما الأسس الناظمة للتعايش معه؟ مع أن الإسلام أعلن أنه الدين الحق الذي لا يقبل الله (جل جلاله) غيره يوم الحساب.

ومبعث قبول الآخر، أن دورة الحياة الدنيا تسير وفق سنن إلهية، بدايتها الاستخلاف ومبناها حرية الاختيار، مع وجود دواع للخير وللشر؛ ابتلاء واختباراً، مؤداه اختلاف التوجهات وتعدد الاختيارات، مما يعني قبول الآخر وإن اختلف معنا أو خالفنا؛ لأن الله (جل جلاله) هو الحكم بين عباده فيما اختلفوا فيه، وهذا يستدعي وجود قوانين بيّنة يحتكم إليها؛ لأن من نتاج دواعي الاختلاف، تدافع الإرادات وصراع القوى، والمبدأ الرئيس في الإسلام أن الصراع ليس امراً حتمياً أو حكماً مقضياً، بل الأساس فيه قبول الآخر التعايش معه؛ لذلك وضع القرآن الكريم أسساً ناظمة للعلاقة السلمية مع الآخر، وفقاً للسنن الإلهية. وإن من السذاجة تصور عالم

خال من النزاعات، يسوده الوئام ويعمه السلام، بل الصراع والتدافع باقيان بقاء الخير والشر، والحق والباطل، والابتلاء والاختبار، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد كانت البداية بين آدم (ع) وإبليس.

وشهد العالم عبر تاريخه الطويل سلسلة حروب، تدافعت فيها القوى، وتصارعت الإرادات، نال العالم الإسلامي وخاصة جزءه العربي نصيباً أكبر؛ لأهميته جغرافياً وروحياً، حيث يقع في وسط العالم، وهو مهبط الرسالات السماوية: ولأن الإسلام الدين الوحيد الذي حافظ على نقائه، ولأنه الأكثر جذباً وتأثيراً في الآخرين، مما استعدى قوى البغي للإجهاز عليه وعلى معتنقيه، وأكثر الأطماع عبر التاريخ أتت من الروم وأحفادهم، من قبل بعثة المسيح(ع) وبعد أن تنصروا، لكن الأمر كما قيل: لم تتنصر الروم، ولكن تروّمت النصرانية[١]، وليس الوزر على النصرانية كدين بشر به عيسى (ع)، إنما على الأدعياء والمنتفعين، الذين اتخذوا الدين وسيلة لتحقيق أطماعهم، وإن كان الصراع قد انتهى مع أهل المشرق بعد عدة جولات، إما باعتناق الإسلام، وإما بمسالمة معتنقيه، إلا أن الاحتدام استمر مع الغرب عبر جولات كثيرة، وحتى يومنا هذا، وكانوا البادئين في الغالب، مصداقه ما روي عن رسول الله(ص): «فارس نطحة أو نطحتان، ثمّ لا فارس بعد هذا أبداً، والرّوم ذات القرون، كلّما هلك قرن خلفه قرن، أهل صبر، وأهل بحر، لآخر الدّهر، هم أصحابكم، مادام في العيش خير»[٢].

ومنذ البداية دعا الإسلام الى الحوار مع الآخر، خاصة أهل الكتاب، والدعوة مفتوحة الى يوم القيامة؛ لإقامة حلف فضول يتوافق فيه على مبادئ وأسس تكفل الحقوق وتحقق الأمن، دون أي شكل من أشكال التمييز، لتجاوز الأحلاف المعاصرة سواء أكانت دولية أم إقليمية؛ لأنها لا تحقق إلا مصالح الأقوياء.

في هذه الدراسة بيان لأسس التعايش الرئيسة وقواعد التعامل مع الآخر، من منظور إسلامي؛ وذلك بالتحليل لنصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية، وعرض صور من الواقع التاريخي واستعراض شهادات بعض المنصفين.

الأساس الأول، الوحدة الإنسانية:

تتصف دعوة الإسلام بالعالمية والإقرار بالوحدة الإنسانية، فالله (عزوجل) في القرآن الكريم رب العالمين وليس رب العرب أو رب المسلمين فحسب كما عند اليهود لهم ربهم وللآخرين أربابهم[٣]. وهو إله الناس جميعاً: ﴿إله النّاس﴾[٤]. والقرآن الكريم هدى للناس: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذيَ أُنزلَ فيه الْقُرْآنُ هُـدًى لّلنَّـاس﴾[٥]، وخاطب الله (جل وعلا) الناس جميعاً: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُمْ﴾[٦]، ونسبهم الى أبيهم آدم(ع): ﴿ يَا بَني آدَمَ إمَّا يَأْتيَنَّكُمْ رُسُلٌ مّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتي فَمَـن اتَّقَـى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [٧].

وبين أن الناس خلقوا من نفس واحدة: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُـم مّن نَّفْس وَاحدَة﴾ [٨]. وأن ربهم واحد وأباهم واحد، قال(ص): «يا أيها الناس ألا إنّ ربّكم واحد وإنّ أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجميّ ولا لعجميّ على عـربيّ ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلاّ بالتّقوى»[٩].

وأن الرسول(ص) مبعوث للعالمين: ﴿ وَمَـا أَرْسَـلْنَاكَ إلَّـا رَحْمَـةً لّلْعَـالَمينَ﴾ [١٠]، ومرسل للناس كافة: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلَّا كَافَّةً لّلنَّاس بَشيرًا وَنَذيرًا وَلَكنَّ أَكْثَرَ النَّاس لَا يَعْلَمُونَ﴾ [١١].

والناس في المنظور الإسلامي شعوب وأمم خلقوا ليتعـارفوا ويتـآلفوا: ﴿ يَـا أَيُّهَـا النَّاسُ إنَّا خَلَقْنَاكُم مّن ذَكَر وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائلَ لتَعَارَفُوا إنَّ أَكْـرَمَكُمْ عنـدَ اللَّه أَتْقَاكُمْ إنَّ اللَّهَ عَليمٌ خَبيرٌ ﴾[١٢] [١٣] منهم المؤمن والكافر ومنهم البر والفاجر: قال ابن عمر(رحمه الله) خطب رسول الله(ص) يوم فتح مكّة، فقال: «أما بعد، أيها النّـاس، فإنّ الله عزّوجلّ قد أذهب عنكم عيبة الجاهليّة، وتعاظمها بآبائهـا، فالنّـاس رجـلان: مـؤمن تقـي كـريم، وفـاجر شـقي مهـين، والنّـاس كلّهـم بنـو آدم، وخلـق الله آدم من تراب»[١٤].

والإنسان خليفة الله(جل وعلا) في الأرض: ﴿ وَإذْ قَالَ رَبُّكَ للْمَلاَئكَة إنّي جَاعـلٌ

في الأَرْض خَليفَةً﴾ [١٥]، عليه عمارتها: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْض وَاسْتَعْمَرَكُمْ فيهَا﴾[١٦]، عبر أجيال متعاقبة: ﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْض أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّه قَليلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[١٧] [١٨]، مما استدعى استمرار الجنس البشري، فخلقهم الله (جلا وعلا) من نفس واحدة، وجعل منها زوجها: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْس وَاحدَة ثُمَّ جَعَلَ منْهَا زَوْجَهَا﴾[١٩]، الذكر والأنثى: ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْن الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [٢٠] ليحصل السكن: ﴿ هُوَ الَّذي خَلَقَكُم مِّن نَّفْس وَاحدَة وَجَعَلَ منْهَا زَوْجَهَا ليَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [٢١]، ونشأ المودة: ﴿ وَمنْ آيَاته أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ في ذَلكَ لَآيَات لِّقَوْم يَتَفَكَّرُونَ﴾ [٢٢].

وبجانب وحدة الأصول والغايات، اختلفت الألسنة والألوان: ﴿ وَمنْ آيَاته خَلْقُ السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَاخْتلَافُ أَلْسنَتكُمْ وَأَلْوَانكُمْ إِنَّ في ذَلكَ لَآيَات لِّلْعَالمينَ﴾[٢٣]، والإنسان لا يعيبه لون بشرته أو اختلاف لسانه؛ لأن ميدان التفاضل العمل الصالح: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عندَ اللَّه أَتْقَاكُمْ﴾ [٢٤].

ويقر الإسلام تعدد الشرائع عبر التاريخ الإنساني: ﴿ لكُلٍّ جَعَلْنَا منكُمْ شرْعَةً وَمنْهَاجًا﴾ [٢٥]، مع وحدة الدين: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّين مَا وَصَّى به نُوحًا وَالَّذي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا به إِبْرَاهيمَ وَمُوسَى وَعيسَى أَنْ أَقيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فيه﴾[٢٦]. والإيمان بكل الرسل: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزلَ إِلَيْه من رَّبِّه وَالْمُؤْمنُونَ كُلٌّ آمَنَ باللَّه وَمَلَائكَته وَكُتُبه وَرُسُله لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَد مِّن رُّسُله﴾ [٢٧].

والنبيّون إخوة، شرائعهم شتى ودينهم واحد: عن أبي هريرة (رض) أنّ النبي(ص) قال: «الأنبياء إخوة لعلّات أمهاتهم شتّى ودينهم واحد، وأنا أولى النّاس بعيسى ابن مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبي»[٢٨]. تشكل دعوتهم عقداً متكاملاً، بدايته آدم(ع)، ونهايته خاتم النبيين: عن أبي هريرة(رض) أنّ رسول الله(ص) قال: «إنّ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلاّ موضع لبنة من زاوية فجعل النّاس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللّبنة قال فأنا اللّبنة وأنا خاتم النّبيين»[٢٩].

والإنسان مكرم بغض النظر عن دينه أو معتقده، حياً كان أو ميّتاً: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (٣٠). قال عبدالرحمن بن أبي ليلى: «كان سهل بن حنيف وقيس بن سعد قاعدين بالقادسيّة فمرّوا عليهما بجنازة فقاما فقيل لهما إنّها من أهل الأرض أي من أهل الذّمّة، فقال: إنّ النّبي(ص) مرّت به جنازة فقام فقيل له إنّها جنازة يهوديّ فقال أليست نفساً»(٣١).

الأساس الثاني، حرية الاعتقاد:

العنوان الرئيس في العقيدة: ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (٣٢) والاختلاف سنة من سنن الله (عزوجل) في خلقه: ﴿ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (٣٣)، ولو شاء الله لهدى الناس جميعاً: ﴿ أَن لَّوْ يَشَاء اللّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (٣٤). ﴿ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾(٣٥). والقاعدة الكبرى في هذا: ﴿ قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٣٦) (٣٧).

وإن من دواعي حرية الاعتقاد، التكليف الإلهي المبني على الابتلاء والاختبار، مما يعني حرية اختيار منهج أو سلوك طريق، بعد نصب الأدلة وإرسال الرسل: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾(٣٨) مما ينتج عنه تعدد الاتجاهات، وتنوع الثقافات: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ﴾ (٣٩).

وغاية التعدد والتنوع، إكمال دورة الحياة الدنيا المبنية على التسابق لتحقيق منافع دنيوية وأخروية، والتسابق نفسه محل للاختبار والامتحان: ﴿وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ﴾(٤٠).

والإسلام بما يمثله من نظام عيش ودستور حياة إختاره الباري (عزوجل) ليكون المنهج الرباني للبشرية جمعاء منذ ختم النبوة الى أن يرث الأرض ومن عليها، لا تخالف

فروعه أصوله، ولا تنقض تطبيقاته مبادئه، فانطلاقاً من هذا المبدأ وتطبيقاً له، لم يجبر المسلمون أحداً على اعتناق الإسلام، مع أن فيه إعلاناً صريحاً بأنه الدين الناسخ لما سبقه: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عندَ اللّه الإِسْلاَمُ﴾ (٤١)، الذي لا يقبل الله غيره: ﴿ وَمَن يَبْتَغ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٤٢)، وأن محمد بن عبدالله(ص) خاتم النبيّين: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَد مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وكَانَ اللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾(٤٣). وشريعته هي الحاكمة: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ﴾(٤٤). ومع هذا ترك الإسلام حرية الاختيار للإنسان؛ لتتحقق حقيقة الاختبار: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ من رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾ (٤٥) والرسول(ص) إنما هو بشير ونذير: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(٤٦). ليس له إكراه أحد على الإسلام: ﴿ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾(٤٧) (٤٨). أو عليه مسؤولية عمّن أعرض: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾(٤٩)؛ لهذا منع الإسلام سب ما يعبده الآخرون أو يعتقدونه؛ لأنه ليس من خلق المسلم الموقن بإيمانه، السب أو اللعن، هذا من جهة، وكي لا يكون ذريعة لسب الله تعالى، من جهة أخرى: ﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ من دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ علْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾(٥٠) (٥١). واعترف بدور عبادة الآخرين: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾(٥٢) (٥٣) وحافظ عليها:

حق العيش للجميع:

تقتضي حرية العقيدة حق العيش للجميع دون تمييز بسبب دين أو لون أو عرق،

وقد نعم غير المسلمين في ظل الدولة الإسلامية بالأمن، ومنحوا الأمان على أنفسهم وأموالهم وذرياتهم، وسمح لهم ممارسة الطقوس وإقامة الشعائر، وقد حدث هذا منذ اللحظة التي أعلن فيها قيام دولة الإسلام في المدينة المنورة واستمر الى يومنا هذا، فرسول الله(ص) بعد أن وطأت قدماه المدينة قام بثلاثة أعمال نظم فيها سير الحياة للدولة الناشئة، وهي: تأسيس المسجد النبوي؛ ليكون داراً للحكومة، ومعهداً للتعليم، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار؛ لصهر الفريقين في بوتقة الإيمان، ووثيقة المدينة؛ لتقنين العلاقة بين رعايا الدولة من مسلمين ويهود. وهم جميعاً يشكلون أمة واحدة[٥٤] في ظل قوانين عادلة[٥٥].

كما كتب رسول الله(ص) عهداً مماثلاً لوفد نصارى نجران، بعد أن أقاموا في المسجد النبوي وأذن لهم رسول الله(ص) أن يصلوا فيه صلاة عيد الفصح[٥٦].

التسامح بين النظرية والتطبيق:

في الوقت الذي رفع فيه الإسلام شعار التسامح نظرياً، وطبقه المسلمون عملياً، فشعارات الآخرين تسقط عند أول اختبار، وما فعله الأسبان بالمسلمين بعد سقوط الأندلس[٥٧]، وما جرى في الحروب الصليبية[٥٨]، ومحاكم التفتيش[٥٩]، وما يجري الآن من حرب ضد الإسلام ورموزه، وما مارسوه من اضطهاد ديني وسفك دماء لمخالفيهم في المذهب شاهد عيان على زيف دعاويهم وسقوط شعاراتهم، فأقباط مصر كانوا يعيشون تحت الحكم الروماني في ذل مرير مع اشتراكهم في الدين، بسبب اختلافهم المذهبي، فالأقباط يعتنقون المذهب الأرثوذكسي، والرومان المذهب الكاثوليكي، فكان الرومان يعذبون الأقباط ويقتلون رجال الدين منهم، فكنيسة «مارجريس» كانت العبادة تمارس علناً حسب المذهب الكاثوليكي، وخفية في السراديب حسب المذهب الأرثوذكسي، فرقاً من سياط الرومان[٦٠].

وكان من نتائج التسامح وقبول الآخر، أن كثيراً من أهل البلاد المفتوحة فضلوا المسلمين على أهل دينهم أو ملتهم، والشواهد كثيرة، من ذلك أنه لما بلغ الجيش

الإسلامي وادي الأردن، وعسكر أبو عبيدة في بلدة (فحل)، كتب الأهالي النصارى في تلك البلاد الى العرب الفاتحين يقولون: يا معشر المسلمين! أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، وأنتم أوفى لنا وأرأف بنا، وأكفّ عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا[٦١].

ولما جمع هرقل للمسلمين الجموع في اليرموك، رد أبو عبيدة على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج وقالوا: شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم. فقال أهل حمص: لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم، ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم. ونهض اليهود فقالوا: والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص، إلا أن نغلب ونجهد. فأغلقوا الأبواب وحرسوها. وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود، وقالوا: إن ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا الى ما كنا عليه، وإلا فإنا على أمرنا ما بقي للمسلمين عدد[٦٢].

والفضل ما شهد به الأعداء؛ حيث اعترف المنصفون بسماحة الإسلام، من ذلك شهادة المفكر الفرنسي (غوستاف لوبون): ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب[٦٣]. وما قاله المستشرق (ول ديورانت): لقد كان أهل الذمة المسيحيون والزرادشتيون واليهود والصابئون يتمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيراً في البلاد المسيحية في هذه الأيام[٦٤]. وقالت السيدة (زيجريد هونكه): إن الإسلام هو لا شك أعظم ديانة على ظهر الأرض سماحة وإنصافاً، نقولها بلا تحيز، ودون أن نسمح للأحكام الظالمة أن تلطخه بالسواد إذا ما نحيّنا هذه المغالطات التاريخية الآثمة في حقه، وإن علينا أن نتقبل هذا الشريك والصديق، مع ضمان حقه في أن يكون كما هو[٦٥].

الأساس الثالث، العدالة والمساواة:

من المبادئ التي جاء بها الإسلام تحقيق العدالة وإيجاد المساواة، مع الأصدقاء والأعداء: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ للّه شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ

قَوْم عَلَى أَلاَّ تَعْدلُواْ اعْدلُواْ هُوَ أَقْرَبُ للتَّقْوَى ﴾[٦٦]، حتى في ميدان المعركة: ﴿وَقَـاتلُواْ في سَبيل اللّه الَّـذينَ يُقَـاتلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَـدُواْ إنَّ اللّـهَ لاَ يُحـبّ الْمُعْتَـدينَ﴾ [٦٧]. والله (عزوجل) عاتب الرسول(ص) حين دافع عن منافقين ظاناً إياهم صادقين في اعتقادهم وأقوالهم: ﴿ إنَّا أَنزَلْنَا إلَيْكَ الْكتَابَ بالْحَقّ لتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاس بمَـا أَرَاكَ اللّـهُ وَلاَ تَكُـن لّلْخَآئنينَ خَصيمًا﴾ [٦٨] [٦٩].

ولم يعمم الإسلام الحكم، فلم ينظر الى الآخر نظرة واحدة، أو يضع الجميع في سلة واحدة: ﴿ لَيْسُواْ سَوَاء مّنْ أَهْل الْكتَاب أُمَّةٌ قَآئمَةٌ يَتْلُونَ آيَات اللّه آنَـاء اللَّيْـل وَهُـمْ يَسْجُدُونَ﴾ [٧٠]، وفيهم المؤمن: ﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكتَاب لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مّنْهُمُ الْمُؤْمنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسقُونَ﴾ [٧١]. ومنهم: ﴿ وَإذَا سَمعُواْ مَا أُنزلَ إلَـى الرَّسُـول تَـرَى أَعْيُـنَهُمْ تَفيضُ منَ الدَّمْع ممَّا عَرَفُواْ منَ الْحَقّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّـا فَاكْتُبْنَـا مَـعَ الشَّاهدينَ﴾[٧٢]، وفيهم المؤتمن: ﴿ وَمنْ أَهْل الْكتَاب مَنْ إن تَأْمَنْهُ بقنطَار يُؤَدّه إلَيْكَ وَمنْهُم مَّنْ إن تَأْمَنْهُ بدينَار لاَّ يُؤَدّه إلَيْكَ إلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْه قَآئمًا﴾ [٧٣]. والمقصد: ﴿منْهم أُمَّةٌ مُّقْتَصدَةٌ وكَثيرٌ مّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ ﴾[٧٤].

وكثير منهم: ﴿ وَدَّ كَثيرٌ مّنْ أَهْل الْكتَاب لَوْ يَرُدُّونَكُم مّن بَعْد إيمَانكُمْ كُفَّاراً حَـسَدًا مّنْ عند أَنفُسهم مّن بَعْد مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [٧٥].

سمات العدالة في الإسلام:

تتسم العدالة التي دعا إليها الإسلام وأمر بتطبيقها، بالثبات والـشمول، فـلا تخـضع لاعتبارات مصلحية أو ظـروف آنيـة، بـل هـي دائمـة لا تـتغير ولا تتبـدل، فـأمر الله(عزوجل) بالوفاء بالعهود، حتى مع الأعداء: قال تعالى: ﴿ وَإمَّـا تَخَـافَنَّ مـن قَـوْم خيَانَةً فَانبذْ إلَيْهمْ عَلَى سَوَاء إنَّ اللّهَ لاَ يُحبُّ الخَآئنينَ﴾[٧٦] [٧٧] وقد أعاد الرسول(ص) أبا جندل الى المشركين وفاء بما عاهد عليه المشركين[٧٨].

وحرم الغدر والخيانة، حتى في ميدان المعركة، قال سليم بن عامر: كان معاوية يسير

بأرض الرُّوم وكان بينهم وبينه أمد فأراد أن يدنو منهم فإذا انقضى الأمد غزاهم فإذا شيخ على دابّة يقول الله أكبر الله أكبر وفاء لا غدراً إن رسول الله(ص) قال: «من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلّن عقدة ولا يشدّها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء».

والغاية لا تبرر الوسيلة[٧٩]. فلا يجوز قتال قوم إلا بعد دعوتهم الى إحدى ثلاث خلال[٨٠]. ولا يقبل التهاون أو التعدي في تطبيق تلك الخلال[٨١].

وهي شاملة للجميع، دون تمييز بسبب دين أو عرق أو لون: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَات إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاس أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[٨٢]، قال ميمون بن مهران: ثلاثة يؤدين الى البر والفاجر: الأمانة والعهد وصلة الرحم[٨٣]. وقصة زيد بن سعنة دليل بيّن على العدالة مع رعايا الدولة غير المسلمين وحسن معاملتهم[٨٤]. ومن أشهر تطبيقات العدالة مع الرعايا غير المسلمين، قصة قبطي مصر[٨٥].

الأساس الرابع، السلم العالمي:

يشكل السلم العالمي، الخارجي والداخلي طائراً، وأي خلل يحدث في أحدهما يؤثر في الآخر، وقد عمل الإسلام على تحقيق السلم بشقيه؛ لتصفو الحياة من الأكدار.

السلم العالمي:

حمل الإسلام الى العالم رسالة سلام، فحقق السلم، ونشر الأمن، وحض على العلم، ودعا الى الفضيلة، وأقام حضارة، وبنى مدينة[٨٦]، فقد أمر الله (جل وعلا) بالجنوح الى السلم: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [٨٧]؛ لأن القتال ليس أمراً حسناً لذاته: ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [٨٨]. ولا مرغوباً فيه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ

وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [٨٩]، وإنما شرّع لرد العدوان: ﴿ وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [٩٠]، ورفع الظلم: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا من دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾[٩١]، وإخماد الفتن: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [٩٢]. وما أرسل الرسول(ص) إلا رحمة للعالمين، فحينما مر سعد بن عبادة بأبي سفيان يوم فتح مكة، قال: اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشاً، رد عليه رسول الله(ص): اليوم يوم المرحمة اليوم أعز الله فيه قريشاً[٩٣] كما قال لأهل مكة: اذهبوا فانتم الطلقاء.

وأرسل الرسول(ص) الرسل وبعث السفراء الى ملوك وأمراء البلدان المجاورة؛ لإقامة علاقات حسن جوار، وأقام عهد أمان مع القبائل المسالمة، وقال عن حلف الفضول: «شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفا لو دعيت الى مثله في الإسلام لأجبت»[٩٤]، واستقبل الوفود وهاجر عدد من أصحابه الى الحبشة لما علمه من عدالة النجاشي، وكان رسول الله(ص) إذا بعث جيوشه قال: «اخرجوا بسم الله تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله لا تغدروا ولا تغلّوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصّوامع»[٩٥]. ولم يتعرضوا لغير المقاتلين من النساء والأطفال والرهبان، قال ديوارنت: لم يكونوا في حروبهم همجاً متوحشين، ولم يشرع الإسلام حرب إبادة، أو اتباع سياسة الأرض المحروقة[٩٦]، بل الأمر عكس ذلك تماماً، فقد أوصى رسول الله(ص) بأهل مصر، قال: «إذا فتحت مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإنّ لهم ذمّة ورحماً» يعني أن أم إسماعيل كانت منهم[٩٧]. وسمى القرآن الكريم الصلح فتحاً: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[٩٨]. فبعد أن قفل المسلمون من صلح الحديبية نزلت سورة الفتح فقرأها رسول الله(ص)، فقال عمر يا رسول الله أو فتح هو؟ قال نعم فطابت نفسه ورجع [٩٩]. قال البراء بن عازب (رحمه الله): «تعدون أنتم الفتح فتح مكّة، وقد كان فتح مكّة فتحاً، ونحن نعدّ الفتح بيعة الرّضوان يوم الحديبية»[١٠٠]. ولا يهدف الإسلام الى إقامة عداوة

أو الاستمرار فيها. قال (عزوجل): ﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [١٠١]. كما أنه لم يعلن حرباً دائمة إلا على الشيطان: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [١٠٢].أما غيره، فربما غدا أعداء الأمس أصدقاء اليوم: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾[١٠٣].

ولم توجه حروب المسلمين الى الشعوب، بل الى قوى القهر، دفعاً للظلم: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ . وإزالة للطواغيت: [١٠٤]﴿فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[١٠٥] خاصة القياصرة والأكاسرة؛ لتحقيق مبدأ حرية الاختيار لمن تبلغه رسالة الإسلام[١٠٦]. ولم يشن المسلمون حروباً دينية مقدسة لنشر الدين بالقوة أو قهر المخالفين، بل أكثر البلاد الإسلامية لم تدخلها جيوش المسلمين، ولم يقاتل المسلمون إلا للدفاع عن الناس أو حرية الاعتقاد أو الاختيار، ولم يسجل التاريخ استعمال القوة أو الإجبار في اعتناق الإسلام[١٠٧]. وإن كثيراً من أهالي البلاد المفتوحة رحبوا بالفاتحين وناصروهم[١٠٨]، قال شاهد العيان على الفتح الإسلامي لمصر، الأسقف (يوحنا النقيوس): إن الله الذي يصون الحق، لم يهمل العالم، وحكم على الظالمين ولم يرحمهم لتجرئهم عليه، وردهم الى يد الاسماعيليين – العرب المسلمين – ثم نهض المسلمون وحازوا كل مصر وكان هرقل حزيناً بسبب هزيمة جيوشه في مصر، وكان عمرو بن العاص يقوي كل يوم في عمله، ويأخذ الضرائب التي حددها ولم يأخذ شيئاً من مال الكنائس، ولم يرتكب شيئاً ما من سلب أو نهب وحافظ على الكنائس طوال الأيام[١٠٩]. وقد شكلت مبادئ الإسلام وأخلاق المسلمين، عامل جذب لاعتناق الإسلام، قال أرنولد، تحت عنوان طابع السيادة في الحضارة الإسلامية: كان المثل الأعلى الذي يهدف الى أخوة المؤمنين كافة في الإسلام من العوامل القوية التي جذبت الناس بقوة نحو هذه العقيدة[١١٠].

أما مقولة: أن الإسلام انتشر بحد السيف، ما هي إلا فرية روجها من غاظه انتصار

الإسلام، أما المنصفون فقالوا عكس ذلك، قال توماس أرنولد، تحت عنوان، أسباب تحول المسيحيين الى الإسلام: وإذا نظرنا الى التسامح الذي امتد على هذا النحو الى رعايا المسلمين من المسيحيين في صدر الحكم الإسلامي، ظهر أن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس الى الإسلام، بعيد من التصديق، ومن ثم لم يكن بد من أن نلتمس بواعث أخرى غير ذلك الباعث الذي أوحى بالاضطهاد[١١١].

وقال ول ديورانت: لم يكن الأعداء يخيرون بين الإسلام والسيف، بل كان الخيار بين الإسلام والجزية والسيف[١١٢].

السلم الداخلي:

إن تحقق السلم الداخلي ضمان لتحقق السلم الخارجي، فالدولة التي لا تقيم العدل بين رعاياها آيلة الى السقوط، فكل من له عقد ذمة[١١٣] أو عهد أمان، حقه مكفول[١١٤]، وقد دعا القرآن الكريم الى مخاطبتهم بأحب الأسماء إليهم؛ لتأليفهم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[١١٥]، وأمر بمجادلتهم بالتي هي أحسن، مع البدء بذكر المشتركات: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[١١٦]. وكان الرسول(ص) يحب موافقة أهل الكتاب ومخالفة المشركين فيما لم يؤمر به[١١٧]. وفرح المسلمون بانتصار أهل الكتاب على أهل الشرك[١١٨].

ولم ينه القرآن الكريم إلا عن مودة المحاربين: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[١١٩] [١٢٠].

إلا أنه قد تثار شبهة، أن فرض الجزية على الرعايا غير المسلمين مكس مشين،

وذل مكين. وجوابها، ما شهد به شاهد من أهلهم، قال السير توماس أرنولد تحت عنوان، الغرض من فرض الجزية وعلى من فرضت: لم يكن الغرض من فرض هذه الضريبة على المسيحيين -كما يريدنا بعض الباحثين على الظن- لوناً من ألوان العقاب لامتناعهم عن قبول الإسلام، وإنما كانوا يؤدونها مع سائر أهل الذمة. وهم غير المسلمين من رعايا الدولة الذين كانت تحول ديانتهم بينهم وبين الخدمة في الجيش، في مقابل الحماية التي كفلتها لهم سيوف المسلمين. ولما قدّم أهل الحيرة المال المتفق عليه، ذكروا صراحة أنهم دفعوا هذه الجزية على شريطة أن يمنعونا وأميرها البغي من المسلمين وغيرهم[١٢١]. كذلك حدث أن سجل خالد في المعاهد التي أبرمها مع بعض أهالي المدن المجاورة للحيرة قوله: فإن منعناكم فلنا الجزية وإلا فلا[١٢٢].

والواقع أصدق دليل: فبعد أن علم أبو عبيدة أن هرقل حشد جيشاً كبيراً لقتال المسلمين، كتب الى عمال المدن المفتوحة في الشام يأمرهم برد ما جبي من الجزية من هذه المدن، وكتب الى الناس يقول: (إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه بلغنا ما جمع لنا من الجموع، وأنكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم، وإنا لا نقدر على ذلك، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم، ونحن لكم على الشرط، وما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم). فلما قالوا ذلك لهم، وردوا عليهم الأموال التي جبوها منهم، قالوا: ردكم الله علينا، ونصركم عليهم، فلو كانوا هم، لم يردوا علينا شيئاً، وأخذوا كل شيء بقي لنا[١٢٣]. وقد فرضت الجزية على القادرين من الذكور مقابل الخدمة العسكرية التي كانوا يطالبون بها لو كانوا مسلمين، ومن الواضح أن أي جماعة مسيحية كانت تعفى من أداء هذه الضريبة إذا ما دخلت في خدمة الجيش الإسلامي. وكانت الحال على هذا النحو مع قبيلة (الجراجمة) وهي مسيحية كانت تقيم بجوار أنطاكية، سالمت المسلمين وتعهدت أن تكون عوناً لهم، وأن تقاتل معهم في مغازيهم، على شريطة ألا تؤخذ بالجزية، وأن تعطى نصيبها من الغنائم[١٢٤]. ولما اندفعت الفتوح الإسلامية الى شمال فارس سنة (٢٢هـ)، أبرم مثل هذا الحلف مع إحدى القبائل التي تقيم على حدود تلك البلاد، وأعفيت من أداء الجزية مقابل الخدمة العسكرية[١٢٥].

الخاتمة:

في الوقت الذي يعرف الغرب عن أحوالنا الشيء الكثير، قبل الحملات العسكرية وفي أثنائها وبعد جلائهم، من خلال الإرساليات التبشيرية وما يقوم به المستشرقون، فلا يتخذوا أي قرار، بسلم أو حرب إلا بعد معرفة دقائق الأمور التي يجهلها أكثرنا، وقد دلت الحروب الأخيرة على مدى عمق معرفتهم بأدق التفاصيل التي تساعدهم في اكتساب المعركة، ولو كانت الوسائل غير مشروعة؛ لأن الغاية عندهم تبرر الوسيلة. وفي مقابل هذا جهلنا بهم يوازي معرفتهم بنا، فما نعرفه عنهم ما هو إلا عواطف وانفعالات وردود فعل آنية كجذوة نار لا تكاد تشتعل حتى تخمد، فلا يكن التعامل مع الآخر في السلم أو الحرب إلا بعد الاطلاع على ما تكنه صدورهم وما تضمره نفوسهم تجاهنا؛ لهذا يتوجب على أصحاب القرار في العالم الاسلامي توجيه الطاقات للقيام بدراسات استغرابية واستشراقية، لمعرفة الآخر، مما يستدعي إقامة مراكز للترجمة والدراسات المستقبلية، وإرسال باحثين ودعاة الى مغرب العالم ومشرقه؛ لإيصال رسالة الإسلام في نشر السلم وتحقيق العدالة، فالناس أعداء لما جهلوا، والاطلاع على ثقافات الشعوب؛ لجلب المصالح ودفع المضار.

الهوامش:

١ – قال القاضي عبدالجبار، (ت ٤١٥هـ) في كتابه تثبيت دلائل النبوة: لتعلم أن الروم ما تنصرت ولا أجابت المسيح، بل النصارى ترومت وارتدت عن دين المسيح وعطلت أصوله وفروعه وصارت الى ديانة أعدائه.

٢ – مصنف ابن أبي شيبة، (١٩٦٨٨) (٢٩٨/٥)، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، باب إخباره (ص) بأن فارس تنقرض وأن الروم تبقى فكان كذلك. (٣٨٣٧) (٦٦/٤)، قال المناوي: إسناده ضعيف، التيسير بشرح الجامع الصغير، (٣٢٢/٢). والحديث مرسل؛ لأن عبدالله بن محيريز راوي الحديث، تابعي، (ت سنة ٩٩، وقيل قبلها). تهذيب الكمال للمزي، (١٠٦/١٦). سير أعلام النبلاء، (٩٤/٤).

٣ – الناس/ ٣.

٤ – البقرة/ ١٨٥.

٥ – البقرة/ ٢١.

٦ – الاعراف/ ٣٥.

٧ – النساء/ ١.

٨ – الانعام/ ٩٨.

٩ – عن جابر بن عبدالله(رحمه الله)، قال: خطبنا رسول الله(ص) في وسط أيّام التّشريق خطبة الوداع، فقال.. المسند، (٢٣٥٣٦) (٤١١/٥)، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد، (٣/٥٨٦/٣) شعب الإيمان، (٤٧٧٤) (١٣٢/٧).

١٠ – الأنبياء/ ١٠٧.

١١ – سبأ/ ٢٨.

١٢ – الحجرات/ ١٣.

١٣ – يا أيها الناس: يا أيها المختلفون أجناساً وألواناً، المتفرقون شعوباً وقبائل، إنكم من أصل واحد. فلا تختلفوا ولا تتفرقوا ولا تتخاصموا ولا تذهبوا يداً. في ظلال القرآن، (٣/٧).

عن أبي نضرة حدّثني من سمع خطبة رسول الله(ص) في وسط أيّام التّشريق فقال: «يا أيها النّاس ألا إنّ ربّكم واحد وإنّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربيّ على أعجمي ولا لعجمي على عربيّ ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلاّ بالتقوى». المسند، مسند الأنصار، (٢٣٤٨٩) (٤٧٤/٣٨).

١٤ – سنن الترمذي، أبواب فضائل القرآن، باب ومن سورة الحجرات، وقال: حديث غريب، لا نعرفه من حديث عبدالله بن دينار عن ابن عمر إلاّ من هذا الوجه. وعبد الله بن جعفر يضعّف، ضعّفه يحيى بن معين وغيره، وهو والد عليّ بن المدينيّ. (٣٢٧٠) (٢٨٩/٥) شعب الإيمان، (٤٧٦٧) (١٢٧/٧) .

١٥ – البقرة/ ٣٠.

١٦ – هود/ ٦١.

١٧ – النمل/ ٦٢.

١٨ – استخلف الله (جل وعلا) جنس البشر في الأرض أولاً. ثم جعلهم قرناً بعد قرن، وجيلاً بعد جيل، يخلف بعضهم بعضاً في مملكة الأرض التي جعلهم فيها خلفاء، والله فطرهم وفق النواميس التي تسمح بوجودهم في الأرض، وزودهم بالطاقات والاستعدادات التي تقدرهم على الخلافة فيها، وتعدهم لهذه المهمة الكبرى. في ظلال القرآن، (٣٩٢/٥).

١٩ – الزمر/ ٦.

٢٠ – النجم/ ٤٥.

٢١ – الأعراف/ ١٨٩.

٢٢ – الروم/ ٢١.

٢٣ – الروم/ ٢٢.

٢٤ – الحجرات/ ١٣.

٢٥ – المائدة/ ٤٨.

٢٦ – الشورى/ ١٣.

٢٧ – البقرة/ ٢٨.

٢٨ – وتتمته: «وإنّه نازل، فإذا رأيتموه فأعرفوه رجلا مربوعاً الى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصّران كأنّ رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيدقّ الصّليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو النّاس الى الاسلام، فيهلك الله في زمانه الملل كلّها إلاّ الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدّجال، وتقع الأمنة على الأرض، حتّى ترتع الأسود مع الإبل، والنّمار مع البقر، والذّئاب مع الغنم، ويلعب الصّبيان بالحيّات لا تضرّهم، فيمكث أربعين سنة، ثمّ يتوفّى ويصلي عليه المسلمون». المسند، واللفظ له، (٩٢٧٠) (١٥/١٥٣). البخاري، كتاب الأنبياء، بقول الله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ (٣٢٥٩) (٣/١٢٧٠)

٢٩ – البخاري، كتاب بدء الخلق، باب خاتم النبيّين(ص)، (٣٣٤٢) (٣/١٣٠٠). مسلم، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه(ص) خاتم النبيين، (٢٢٨٦) (٤/١٧٩٠).

٣٠ – الاسراء/ ٧٠.

٣١ – البخاري كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهوديّ، (١٢٥٠) (١/٤٤١)، مسلم كتاب الجنائز، باب القيام للجنازة، (٩٣١) (٢/٦٤٢).

٣٢ – البقرة/ ٢٥٦.

٣٣ – هود/ ١١٨ – ١١٩.

٣٤ – الرعد/ ٣١.

٣٥ – هود/ ١١٨.

٣٦ – سبأ/ ٢٥.

٣٧ – قال الفخر الرازي: أضاف الإجرام الى النفس وقال في حقهم: ﴿ولا نسئل عمّا تعملون﴾، ذكر بلفظ العمل لئلا يحصل الإغضاب المانع من الفهم، وقوله: ﴿لا تسئلُون﴾، ﴿ولا نسئل﴾، زيادة حث على النظر وذلك لأن كل أحد إذا كان مؤاخذاً بجرمه فإذا احترز نجا، ولو كان البريء يؤاخذ بالجرم لما كفى النظر، التفسير الكبير، (٢٥/٢٢٣).

٣٨ – البلد/ ١٠.

٣٩ – البقرة/ ١٤٨.

٤٠ – المائدة/ ٤٨.

٤١ – آل عمران/ ١٩.

٤٢ – آل عمران/ ٨٥.

٤٣ – الأحزاب / ٤٠.

٤٤ – المائدة/ ٤٨.

٤٥ – الكهف / ٢٩.

٤٦ – الأعراف / ١٨٨.

٤٧ – يونس / ٩٩.

٤٨ – قال (بيجي رودريك): أذن الإسلام لرسوله(ص) بالجهاد لرفع الظلم والاضطهاد؛ ولإزالة العقبات التي تقف في وجه الدعوة الى الإسلام، التي لا تكره أحداً على الدخول في هذا الدين، وإنما تدعو الناس إليه وتترك لهم الحرية الكاملة للاختيار، إن الإسلام هو دين السلام مع الله والسلام مع الناس جميعاً، وما إن يدخل الاسلام بلداً من البلدان المفتوحة حتى يقبل أهلها جميعاً على اعتناقه ويعاملون معاملة الفاتحين سواء بسواء، ومن احتفظ منهم بدينه لقي أكرم معاملة.. تعتبر قوانين الحرب في الإسلام أكثر القوانين إنسانية ورأفة، فهي تضمن السلامة التامة للنساء والولدان والشيوخ وجميع غير المحاربين، قالوا عن الإسلام، د. عماد الدين خليل، (ص ٢٨٧).

٤٩ – الشورى / ٤٨.

٥٠ – الأنعام/ ١٠٨.

٥١ – قال السدي: لا تسبوا الأصنام فيسبوا من أمركم بما أنتم عليه من عيبها، وقيل لا تسبوا الأصنام فيحملهم الغيظ والجهل على أن يسبوا من تعبدون كما سببتم من يعبدون. أحكام القرآن للجصاص، (١٧٠/٤).

٥٢ – الحج / ٤٠.

٥٣ – (لهدمت)، لخربت باستيلاء المشركين على أهل الملل، صوامع للرهبان وهي الأديرة، (وبيع) كنائس للنصارى، (وصلوات)، كنائس اليهود، سميت بها لأنها يُصلى فيها، وقيل: أصلها: صلوتا بالعبرانية، فعرّبت، (ومساجد)، معابد للمسلمين. (يذكر فيها اسم الله كثيراً)، يذكر في المواضع الأربعة المذكورة، وتنقطع العبادة بخرابها. التفسير المنير، (٢٢٥/١٧). وانظر: جامع البيان في تأويل القرآن، (٦٥٠/١٨)، وتفسير ابن كثير، (٤٣٦/٥).

٥٤ – مما جاء في الوثيقة: هذا كتاب من محمد النبي(ص) بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس.. وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم.. وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم. المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله الى ملوك الأرض، (١٤٤/١).

٥٥ – لا يمكن وصف الدولة الإسلامية بأنها دولة دينية بالمفهوم الغربي، (ثيوقراطية)، يحكمها رجال دين بموجب حق إلهي، بل دولة يحكمها من تختاره الأمة ليطبق شرع الله (عزوجل) على رعايا الدولة، مع صون

حقوق الرعايا غير المسلمين، والمحافظة على خصوصياتهم، فلا يطبق عليهم ماله صلة بالعقيدة أو العبادة، إنما يطبق عليهم ما يدخل تحت القانون العام.

٥٦ – حضر وفد نصارى نجران الى المدينة سنة (١٠ للهجرة)، جاء فيه: لنجران وحاشيتها وسائر من ينتحل دين النصرانية في أقطار الأرض جوار الله وذمة محمد رسول الله على أموالهم وأنفسهم وملتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم.. أن أحمي جانبهم وأذب عنهم وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم ومواضع الرهبان ومواطن السياح، وأن أحرس دينهم وملتهم أين كانوا بما أحفظ به نفسي وخاصتي وأهل الإسلام من ملتي.. لأني أعطيتهم عهد الله على أن لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم.. حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم. فقاموا يصلون في المسجد نحو المشرق فقال، رسول الله(ص) دعوهم. مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، جمع وتحقيق د. محمد حميد الله آبادي، (ص١٧). طبقات ابن سعد، (٣٥٧/١). فتوح البلدان. (٧٨/١).

٥٧ – قالت زيجريد هونكه: إن إسبانيا تحت حكم العرب مثال يبين – أي على التسامح – أنه بينما كانت أوروبا الكاثوليكية دون جبال البرانس تقضي قضاء مبرماً على كل دين آخر يجرؤ على الظهور الى جانب دينها الكاثوليكي، بصفته الدين الأوحد للخلاص؛ وذلك باتباعها سياسة التفرقة الصارمة إزاء غير النصارى، نرى أن النصرانية لم تستأصل ولم تضع تحت حكم العرب... كذلك اليهودية التي دأبت الكنيسة على تحميلها وزر موت المسيح.. تمتّعت في ظلال الحكم العربي... لأول مرة بعد الشتات بمطلق الحرية الى أن استعادت النصرانية الحكم في إسبانيا وطردت اليهود. الله ليس كذلك (ص ٥٢).

٥٨ – قال الذهبي: وقد كان لتسامح المجاهدين وعلى رأسهم صلاح الدين، وأخلاقهم الفاضلة عندما فتحوا بيت المقدس أثر كبير في نفوس أعدائهم، فقد امتدحهم مؤرخوهم، وأثنوا عليهم ثناء طيبا، فها هو (رنسمان) يقول: الواقع أن المسلمين الظافرين اشتهروا بالاستقامة والإنسانية، بينما كان الفرنج منذ ثمان وثمانين سنة يخوضون في دماء ضحاياهم، لم تتعرض الآن دار من الدور للنهب، ولم يحل بأحد من الأشخاص مكروه، إذ صار رجال الشرطة بناء على أمر صلاح الدين يطوفون الشوارع والأبواب، يمنعون كل اعتداء يقع على المسيحيين. ملكنا فكان العفو مناسجية * فلما ملكتم سال بالدم أبطح سير أعلام النبلاء، (١٧٩/١٩).

قال (يورجا): ابتدأ الصليبيون سيرهم على بيت المقدس بأسوأ طالع، فكان فريق من الحجاج يسفكون الدماء في القصور التي استولوا عليها. وقد أسرفوا في القسوة فكانوا يبقرون البطون. ويبحثون عن الدنانير في الأمعاء! أما صلاح الدين، فلما استرد بيت المقدس بذل الأمان للصليبيين، ووفى لهم بجميع عهوده، وجاد المسلمون على أعدائهم ووطأوهم مهاد رأفتهم، حتى إن الملك العادل، شقيق السلطان، أطلق ألف رقيق من الأسرى، ومنّ على جميع الأرمن، وأذن للبطريرك بحمل الصليب وزينة الكنيسة، وأبيح للأميرات والملكة بزيارة أزواجهن. في ظلال القرآن (٦/٤) .

٥٩ – استمرت محاكم التفتيش مدة مديدة تأمر بالتقتيل والتعذيب، والإكراه. قالت السيدة زيجريد: إذ لم يكن انتصار النصرانية يعني سوى طرد اليهود والمسلمين واضطهادهم وإكراههم على التنصير واستئناف نشاط

محاكم التفتيش التي قامت بتعقب كل من يتخذ سوى الكاثوليكية ديناً، والحرق العلني في احتفالات رسمية تحفّها الطقوس والشعائر الكنسية لكلّ من اعتنق الإسلام أو اليهودية. وما إن دالت دولة العرب في إسبانيا حتى اندثرت معهم أزهى وأخصب حضارة ملكتها أوروبا في العصور الوسطى، وغرقت في بحر من الرعب وأتت فيه أمواج التعصب الديني على كل شيء وابتلعته ابتلاعاً. ولم تلغ محاكم التفتيش إلا في عام ١٨٣٤م. الله ليس كذلك، (ص ٤٥).

٦٠ – واقعنا المعاصر. محمد قطب، (٦٩). وقد شهد بزيف تلك الشعارات الأسقف (ميخائيل السرياني)، قال: لم يسمح الإمبراطور الروماني لكنيستنا بالظهور، ولم يصغ الى شكاوي الأساقفة فيما يتعلق بالكنائس التي نهبت ولهذا فقد انتقم الرب منه، لقد نهب الرومان الأشرار كنائسنا بقسوة بالغة، واتهمونا دون شفقة، ولهذا جاء إلينا أبناء إسماعيل لينقذونا من أذى الرومان، وتركنا العرب نمارس عقائدنا بحرية وعشنا في سلام. الإسلام في عيون غربية، د. محمد عمارة (ص ١٧) نقلاً من كتاب تاريخ مصر في العصر البيزنطي، د. صبري أبو الخير سليم. (ص ٦٢).

٦١ – تاريخ دمشق لابن عساكر، (١٣٠/٤١).

٦٢ – فتوح البلدان، (١٦٢/١).

٦٣ – وقال أيضاً: وإن العرب هم أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين، فهم الذين علّموا الشعوب النصرانية وإن شئت فقل حاولوا أن يعلموها التسامح الذي هو أثمن صفات الإنسان.. ولقد كانت أخلاق المسلمين في أدوار الإسلام الأولى أرقى كثيراً من أخلاق أمم الأرض قاطبة.. والسهولة العجيبة التي ينتشر بها القرآن في العالم... فالمسلم أينما مر ترك خلفه دينه وبلغ عدد أشياع النبي ملايين كثيرة في البلاد التي دخلها العرب بقصد التجارة لا فاتحين، كبعض أجزاء الصين وأفريقيا الوسطى وروسية وتم اعتناق هذه الملايين للإسلام بعد أن يقيمه هؤلاء في أي مكان كان. حضارة العرب (٢٦– ٧٣ – ٢٧٦– ٤٣٠ – ٥٦٦ – ٥٧٩)..

٦٤ – قصة الحضارة، ول ديورانت، دار الجيل، بيروت، (١٣٠/١٣). وهذا عكس ما فعله الصليبيون عند احتلالهم ، وصف شاهد عيان إفرنجي المذبحة التي أحدثها الصليبيون بالقدس بقوله: شاهدنا أشياء عجيبة إذ قطعت رؤوس عدد كبير من المسلمين وقتل غيرهم رمياً بالسهام أو أرغموا على أن يلقوا بأنفسهم من فوق الأبراج.. وكنا نرى في الشوارع أكوام الرؤوس والأيدي والأقدام. قصة الحضارة (٢٥/٤) .

٦٥ – الله ليس كذلك، (ص ١٠١). وعقدت السيدة زيجريد هونكه مقارنة بين سماحة المسلمين وغدر الصليبيين، قالت: تذكر هنا الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد، الذي نشأ في الغرب تنشئة الملوك الشرفاء. فقد مرغ تلك السمعة الطيبة في العار، ودأب على تلويثها بشكل مخز دائماً أبداً، فبينما أقسم بشرفه لثلاثة آلاف أسير عربي أنّ حياتهم آمنة فإذا هو فجأة منقلب المزاج، فيأمر بذبحهم جميعاً، ويحذو قائد الجيش الفرنسي حذوه سريعاً. وهكذا لطخ بفعلته النكراء وسفكه تلك الدماء سمعته الى الأبد، وضيّع ثمرة انتصاره في أذيال الخزي والعار. وعلى العكس من هذا عرفنا صلاح الدين الذي أخزى قوّاد جيوش النصارى، فلم ينتقم

قطّ من أسراهم النصارى الذين كانوا تحت رحمته، ردّا على خيانتهم وغدرهم وفظاعتهم الوحشية التي ليس لها حدّ. ولقد أخزاهم صلاح الدين مرة أخرى حين تمكّن من استرداد بيت المقدس، التي كانت الصليبيون قد انتزعوها من قبل بعد أن سفكوا دماء أهلها في مذبحة لا تدانيها مذبحة وحشية وقسوة، فإنه لم يسفك دم سكّانها من النصارى انتقاماً لسفك دم المسلمين، بل إنه شملهم بمروءته وأسبغ عليهم من جوده ورحمته، ضارباً المثل في التخلق بروح الفروسية العالية. على العكس من المسلمين لم تعرف الفروسية النصرانية أي التزام خلقي يفرض عليها أن تسمح لأولئك (الكفار) بممارسة حقوقهم الطبيعية، الأمر الذي يمليه حق الجوار ومحبته، كما شعرت تلك الفروسية النصرانية بأنه ليس لزاماً عليها أن تلتزم بكلمة الشرف التي تعطيها لغير النصراني. وحينما سفك فرسان الحملة الصليبية عام (١٢٠٤م) دم إخوانهم من النصارى في بيزنطة أخذ (نيكتاس أكوميناتوس) يبكي مصارعهم، قائلاً: بل إن محاربي المسلمين الأعداء أنفسهم رحماء طيبون قياساً الى أولئك القوم، الذين يحملون صلب المسيح على ظهورهم. والحقّ أنّ الفروق الحاسمة مع أتباع الملّة الأخرى راسخة في تفهم كلّ من الإسلام والنصرانية لطبيعته وفي اختلاف تفهّم كلّ منهما للبشر. المرجع نفسه، (ص ٣٤ — ٣٥).

٦٦ – المائدة/ ٨.

٦٧ – البقرة/ ١٩٠.

٦٨ – النساء/ ١٠٥.

٦٩ – هذه الحادثة بالغة الدلالة على مدى ثبات المبادئ التي جاء بها الإسلام، وعدم التوائها أو خضوعها للظروف، في حين كان اليهود يتربصون بنبي الإسلام(ص) وأهله الدوائر؛ لأن نبي آخر الزمان لم يكن منهم، حيث أثاروا الفتن وحاكوا المؤامرات... وفي غمرة هذا الجو المتوتر سرق أحد المنافقين متاعاً، وكي يتخلص من جريرة فعله ويوقع فيها غيره، أخفاه عند يهودي، وعناصر الجريمة مكتملة، متاع يعثر عليه في بيت الرجل، قومه يجاهرون بالعداء للإسلام، مع شهادة رجل ظن الرسول(ص) أنه مسلم حقيقة، فليس من سبيل أمام قاض اكتملت البينات عنده إلا أن يحكم وفقها، وهكذا فعل رسول الله(ص) لأنه بشر لا يعلم الغيب، فنزل الوحي ليبين براءة اليهودي. واقعنا المعاصر. محمد قطب. (٦٧).

٧٠ – آل عمران/ ١١٣.

٧١ – آل عمران/ ١١٠.

٧٢ – المائدة/ ٨٣.

٧٣ – آل عمران/ ٧٥.

٧٤ – المائدة/ ٦٦ .

٧٥ – البقرة/ ١٠٩.

٧٦ – النساء/ ٥٨.

٧٧ – يقول تعالى لنبيه(ص): ﴿ وإمّا تخافنّ من قوم﴾ قد عاهدتهم ﴿خيانةً﴾ أي: نقضاً لما بينك وبينهم من المواثيق والعهود، ﴿فانبذ إليهم﴾ أي: عهدهم ﴿على سواء﴾ أي: أعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم حتى يبقى

علمك وعلمهم بأنك حرب لهم، وهم حرب لك، وأنه لا عهد بينك وبينهم على السواء، أي: تستوي أنت وهم في ذلك . تفسير ابن كثير، (٤/٧٩).

٧٨ – قال البراء بن عازب (رض): «صالح النّبي(ص) المشركين يوم الحديبية على ثلاثة أشياء على أنّ من أتاه من المشركين ردّه إليهم ومن أتاهم من المسلمين لم يردّوه وعلى أن يدخلها من قابل ويقيم بها ثلاثة أيّام ولا يدخلها إلاّ بجلبّان السلاح السيف والقوس ونحوه فجاء أبو جندل يحجل في قيوده فردّه إليهم». البخاري، كتاب الصّلح، باب الصلح مع المشركين، (٢٥٥٣) (٢/٩٦١).

٧٩ – خير شاهد على ذلك، ما حدث مع أهل سمرقند؛ حيث شكوا أن قتيبة قائد جيش المسلمين، غدر بهم وظلمهم وأخذ بلادهم غيلة، فحين بلغ الخبر عمر بن عبد العزيز أمر قاضي المسلمين في النظر بالقضية، فحكم القاضي بخروج جيش المسلمين لمخالفته أدبيات الحرب وأخلاقياته، فما كان من أهل سمرقند، بعد أن لا قوا الأمان والأمن من جند المسلمين، إلا أن يقروهم على ما هم عليه. تاريخ الرسل والملوك، (٤/٨١) الكامل في التاريخ، (٢/٣٧٠).

٨٠ – عن أبي البختريّ أنّ جيشا من جيوش المسلمين كان اميرهم سلمان الفارسي حاصروا قصرا من قصور فارس فقالوا يا أبا عبدالله ألا ننهد إليهم؟ قال: دعوني أدعهم كما سمعت رسول الله(ص) يدعوهم، فأتاهم سلمان فقال لهم إنّما أنا رجل منكم فارسي ترون العرب يطيعونني فإن أسلمتم فلكم مثل الّذي لنا وعليكم مثل الّذي علينا وإن أبيتم إلاّ دينكم تركناكم عليه وأعطونا الجزية عن يد وأنتم صاغرون.. وإن أبيتم نابذناكم على سواء قالوا ما نحن بالّذي نعطي الجزية ولكنا نقاتلكم... فدعاهم ثلاثة أيّام الى مثل هذا ثمّ قال انهدوا إليهم قال فنهدنا إليهم ففتحنا ذلك القصر. الترمذي، كتاب السير، باب ما جاء في الدّعوة قبل القتال، حديث حسن، (١٤٦٨). المسند (٢٢٦١٠).

٨١ – بخلاف ما فعله الروم سابقاً وما فعله أحفادهم في العصر الحاضر مما يندى له جبين من فيه أدنى حياء، لكن القوم فقدوا بوصلة الرشد في القيم والمبادئ.

٨٢ – النساء/ ٥٨.

٨٣ – مفاتيح الغيب، (١٠/ ١١٢).

٨٤ – المستدرك على المستدرك على الصحيحين. (٦٥٤٧). (٣/٧٠٠).

٨٥ – واقعنا المعاصر، (ص ٧٠).

٨٦ – نقلا من كتاب: قالوا عن نبي الاسلام والإسلام، ص ٣٨.

٨٧ – الأنفال/ ٦١.

٨٨ – الأحزاب/ ٢٥.

٨٩ – البقرة/ ٢١٦.

٩٠ – البقرة/ ١٩٠.

٩١ – الحج ٣٩ – ٤٠.

٩٢ – البقرة/ ١٩٣.

٩٣ – كنز العمال، (٧/٢٩٥).

٩٤ – أخبار مكة للفاكهي، (٥/١٩٠ – ١٩١) ، شرح مشكل الآثار، (١٥/٢١٩).

٩٥ – المسند، عن ابن عبّاس (رحمه الله)، (٢٧٢٨) (٤/٤٦١).

٩٦ -هذا بخلاف ما شرّع في الكتاب المقدس؛ فأهل الشعوب البعيدة التي يصعب عليهم سكناها، تسبي نساؤهم وذرياتهم وأموالهم، أما أهل الشعوب القريبة، فيبادوا جميعاً، في الإصحاح العشرين من سفر التثنية: وإذا تقدّمت الى مدينة لتقاتلها فادعها أولاً الى السلم، فإذا أجابتك الى السلم وفتحت لك فجميع الشعب الذين فيها يكونون لك تحت الجزية ويتعبدون لك، وإن لم تسالمك بل حاربتك فحاصرتها، وأسلمها الرب إلهك الى يدك فاضرب كل ذكر بحد السيف، وأما النساء والأطفال وذوات الأربع وجميع ما في المدينة من غنيمة فاغتنمها لنفسك، وكل غنيمة أعدائك التي أعطاكها الرب إلهك هكذا تصنع بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن أولئك الأمم هنا. وأما مدن أولئك الأمم التي يعطيها لك الرب إلهك ميراثاً فلا تستبق منها نسمة، بل أبسلهم إبسالاً .

٩٧ -- عن كعب بن مالك، المستدرك، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجا، ووافقه الذهبي، (١٤٩/٤) المعجم الكبير الطبراني (١١١) (٦١/١٩). وقال الهيثمي: رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح، مجمع الزوائد، (١/١٠) .

٩٨ – الفتح/ ١.

٩٩ – البخاري، كتاب الخمس باب إثم من عاهد ثم غدر، (٣٠١١)، مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية (٤٧٣٣) (١٧٥/٥) .

١٠٠ – البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، (١٥٢٥/٤) (٣٩١٩) .

١٠١ – الممتحنة/ ٧

١٠٢ – فاطر/ ٦

١٠٣ – وعندما صالح أبو عبيدة أهل بعلبك اشترطوا أن لا يدخل مدينتهم أحد من المسلمين، وأن يقيم عامل أبي عبيدة خارج المدينة، فقال أبو عبيدة لكم ذلك وما لنا في الدخول الى مدينتكم من حاجة. فتوح الشام، (١٤٣/١)،

١٠٤ – في ظلال القرآن (١٦٠/١) .

١٠٥ – البقرة/ ١٩٣ .

١٠٦ – تاريخ الأمم والملوك للطبري، ٢/ ٤٠١.

١٠٧ – الدعوة الى الإسلام، ص ٩٩ .

١٠٨ – ذهب المؤرخ الأسباني: إجناسيو أولاجي في كتابه، (العرب لم يستعمروا أسبانيا): الى أن المسلمين دخلوا اسبانيا بناء على دعوة من الأسبان لما رأوا تسامح المسلمين في شمال إفريقيا مقابل الظلم والتعصب الذي كانوا يعانون منه في عهد الملك (رودريك). هامش (الله ليس كذلك، ص ٤٩) .

١٠٩ – الإسلام في عيون غربية، (ص ١٦)، نقلا من كتاب تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي (ص ٢٠١ و ٢٢١).

١١٠ – المرجع نفسه، ص ٩٤ .

١١١ – الدعوة الى الإسلام، ص ٨٨ .

١١٢ – قصة الحضارة، ٤١٨/٢٢ .

١١٣ – أحكام أهل الذمة ٨٧٣/٢ .

١١٤ – عن عبدالله بن عمرو قال: «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنّة وإنّ ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما». البخاري، كتاب الخمس، باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم. (١١٥٥/٢٩٩٥) .

١١٥ – آل عمران/ ٦٤ .
١١٦ – تفسير الرازي، ٢٤٦/٤ .
١١٧ – العنكبوت/ ٤٦ .
١١٨ – عن ابن عبّاس في قول الله تعالى: ﴿ألم غلبت الرّوم في أدنى الأرض﴾، قال غُلبت وغَلبت كان المشركون يحبّون أن يظهر أهل فارس على الرّوم لأنهم وإيّاهم أهل الأوثان وكان المسلمون يحبّون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل الكتاب..». الترمذي، كتاب تفسير القرآن الكريم، باب ومن سورة الروم، وقال: حسن صحيح غريب ٣١٩٣ ، ٣٤٣/٥، المسند، ٢٤٩٥، ٢٩٦/٤.
١١٩ – الممتحنة/ ٨ .
١٢٠ – عن عروة، قال: أخبرتني أسماء بنت أبي بكر(رض)، قالت: «أتتني أمّي رابغة في عهد النّبي(ص) فسألت النبي(ص) أأصلها قال نعم». قال ابن عيينة فأنزل الله تعالى فيها: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ .البخاري، كتاب الأدب، باب صلة الوالد المشرك، ٥٦٣٣ ، ٢٢٣٠/٥ .
١٢١ – تاريخ الأمم والملوك للطبري، ٣٢١/٢ .
١٢٢ – المرجع نفسه، ٣١٩/٢ .
١٢٣ – الخراج لأبي يوسف، ص ١٣٩ .
١٢٤ – فتوح البلدان، ١٨٩/١.
١٢٥ – الدعوة الى الاسلام، ص ٧٩ .